

واقع استعمال اللغة العربية في قنوات التلفزيون الجزائري.

داودي أحمد

أستاذ مؤقت بكلية علوم الإعلام والاتصال

جامعة الجزائر 03

مقدمة :

اللغة عملة متداولة في كل الدول بين الناس، من لعملة تُنشئ القوانين وتسن التشريعات لحماية التزوير فمن باب أولى أن تُصان اللغة من التدليس، حتى لا يتعرض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس. واللغة العربية باعتبارها مكون ارتكازي لمجتمع من مكونات الثقافة العربية، وعنوان هوية العربي الإسلامي وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال تنقل آثار الأجداد إلى الأبناء وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد، تعتبر ضرورة لبناء مهارات التواصل الإنساني، وهي محورية وأساسية في منظومة الثقافة وتربية لارتباطها بجملة مكونات من فكر وابداع وتربية.

ومع ما تمتاز به هذه الحقبة من تفجر عام في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، استحال بموجبها العالم إلى قرية صغيرة يسعى فيها الأقوياء تكنولوجيا واعلاميا إلى فرض لغتهم على الآخرين، ولأنها كذلك، فإنها تؤدي أخطر الأدوار في الارتقاء باللغة العربية أو الحط من شأنها. ذلك أن التأثير الهائل الذي أخذت تلك الوسائل تمارسه في حياة الناس لمشكلة أصبح يضعها في مقدمة العوامل المؤسسية للإدراك العام. ذلك حاصل في كل دول العالم الآن، ولا نستثني من ذلك بلادنا العربية والإسلامية، ولاسيما وأن العولمة التي تروج خطابا يريد له أن يكون كونيا، ومع حساسية البعد الثقافي فيها، وعلى من اعتبار أن اللغة تُعد محور هذا البعد، فإنه بات الضرورة العلمية أن نتساءل عن واقع استخدام اللغة العربية في وسائلنا الإعلامية المرئية قبل الحديث عن آفاقها المتوقعة في ظل التحولات المتسارعة ولاسيما قليميا وكونيا، وفي ظل تهافت العولمة.

وتتدرج تحت هذا التساؤل المركزي جملة من الأسئلة الفرعية أهمها :
ما هو واقع استخدام اللغة العربية في قنوات التلفزيون ؟.

1. الأهمية الاجتماعية والثقافية للغة : تحظى اللغة في أي مجتمع بأهمية بالغة بالنظر إلى الدور الذي تمارسه في التواصل الاجتماعي، فهي عالم رحب يُمارس من خلاله الإنسان حرية التعبير والتفكير، فاللغة رداء الفكر ولباسه، وكل تطور يحصل في المجتمع يتردد صده من خلال مؤسسة اللغة، باعتبارها الناطق الرسمي باسم الأمة والمعبّر عن حياتها وعنوان انتمائها، فالشعوب يمكن من أن تُكَبَّل بالسلاسل، وتُسَد أفواهها، وتُشَرَّد بيوتها، ويظلون مع ذلك أغنياء، فالشعب يفتقر ويُستعبد ما إن يُسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد. واللغة في حد ذاتها ليست رموز ولا مواصفات فنية فحسب، "ولكنها إلى جانب ذلك وفي الأساس، منهج فكر وطريقة نظر، وأسلوب تصور، هي رؤية متكاملة تمدها خبرة حضارية، ويرفدها تكوين نفسي متميز. "ومن البديهي أن الذي يتكلم لغة هو في واقع الأمر يفكر بها فهي تحمل في كيانها تجارب أهلها وخبرتهم وحكمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم(الجابر، 1938، ص163) ولذلك تُعتبر اللغات "أصدق سجل لتاريخ الشعوب.. لأنها أداة الحاضر وصورة التاريخ، بعديه التاريخي الماضي والمصيري القادم، (المسدي، 2012، ص28). وهناك تناسب طردي بين اللغة والحضارة، "فاللغة إلى بشرية عة جما من هي التي تُحوّل الأف ا رد مجموعة ثقافية، وهذا على وجه التمهيد يعني أن الرابطة اللغوية أقوى من الرابطة السياسية، وذلك يعني ببساطة أن اللغة ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان جنباً إلى جنب، تضعف بضعفه وتتمو وتزدهر بنموه وازدهاره. "لقد أصبحت اللغة ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر من أهم المقومات المحددة لجنسية أي شعب أو أمة (حاطوم، 1979، ص2013). والعربية ليست بدعا من اللغات، وإنما هي أصدقها شاهداً على هذا الانعكاس والتأثير، (عبد الله، 2015، ص21)

وعليه فاللغة العربية أولى من غيرها بموفور الرعاية وبالعناية، لأنها حاملة كلام الله، وحاضنة تراث غني، وناقلة تاريخ مجيد إلى الأبناء والأحفاد، فهي الجسر الذي يصل بين الأجيال والحضارات المتعاقبة، وبالنظر لهذا الدور الذي تضطلع به، لا بد من توليها بالتحديث والتطوير

حتى تكون دائماً في مستوى التحديات التي يحفل بها العالم المعاصر. ومن ثمة فحياة اللغة العربية وحيويتها رهن "استعمالنا لها وقدرتنا على توسيع مجالها، وحملها على الاستجابة لحاجاتنا لا يتوفر إلا بقدر ممارستنا لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة... بقاؤه واللغة تواصل بين كل العرب رهين جمعنا لشتات معطياتها وتجسيمها في وسائل عمل متجددة وسعيها المتواصل على متابعة تطورها وتعهده، (إمام، 1969، ص27).

إن الأمة، أي أمة، لا تستطيع البقاء دون لسانية للغة يُعبر عن ذاتها، فبوساطة الأمة توصيل ما تفكر فيه الذات داخليا إلى موضوع يعيه من هم بخارجها، فاللغة هي الرابطة الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان، ومن هنا يصح القول بأن الإنسان جسم وروح ولغة، فمسلسل الحياة اليومية لا يمكن كتابة حلقاته وتصميمها بشكل مترابط في غياب لغة تشكل أداة التفاهم والتواصل والتفاعل، مما يجعل من اللغة ضرورة حضارية ولازمة إنسانية، وظاهرة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في صيرورة حياة المجتمع. وهو ما يقتضي بذل مزيد من الجهد والعناية لجعل اللغة تستجيب لحركية التحولات التي يشهدها رهن المجتمع العربي. ومن ثمة فالنهوض باللغة العربية لا يمكن ما لم يُنهض بوضع وحالة المتكلم بها، وذلك من خلال الجوانب الأساسية لنمو وتطور وتقدم الإنسان مثل الجانب الاجتماعي والتعليمي فاللغة تحتاج - كما الإنسان- إلى من يرعاها ويحضرها ويحميها من جميع الأمراض، التي قد تؤثر عليها وتؤذيها، ويحافظ عليها من الأفول والانقراض، كذلك لمن ينميها ويطورها ويدفعها إلى الأمام. "في حالة الإنسان القائمون على هذه المهمة هما الأبوان والأهل كخلية ووحدة صغيرة راعية ومنظمة لحياته، ومن ثم المجتمع كخلية ووحدة أكبر. "ومن ثم يأتي دور الهياكل والمؤسسات والهيئات الإدارية كخلايا ووحدات أكبر، والراعي الكبير الذي لديه المقدرة والاستطاعة لحماية ورعاية كل هذه الخلايا مجتمعة هو ما يعرف اليوم باسم مؤسسة الدولة بمعناه الشمولي العام، (أزاد، 2014، ص165).

ومن الناحية المعرفية، لا أحد ينكر محورية اللغة في الإبداع المعرفي؛ فهي الحاملة والمترجمة في الوقت نفسه للفكر الإنساني، باعتبار أن هذا

الأخير لا يمكن أن يتجلى إلا من خلال التتابع اللغوي، وفق عملية خلاقة تُسهم في توضيح المعرفة والكشف عنها وأدنى تأمل للحصاد المعرفي في ثقافتنا العربية يقودنا إلى ملاحظة دقيقة، مفادها أن الفكر العربي في معظم تجلياته لا يصدر إلا عن عقلية ثقافية منفصلة لا فاعلة، مقلدة لا مجدة، ناقلة لا مبتكرة. يؤطر هذا الواقع المعرفي جدلية يتجاذبها اتجاهان مختلفان؛ الأول مرتبط بإعادة إنتاج التراث، أما الثاني فيكرس ثقافة النقل من الثقافة الغربية المعاصرة. ليتجلى لنا كيف أن رؤيتنا للواقع المعرفي لا يتم إلا بوساطة، لا تتجسد بطريقة مباشرة، وقد أشار إلى هذا الوضع حسن حنفي، حيث قال : " طالما أن الثقافة العربية ثقافة نصوص تنقلها عن القدماء أو عن الغرب، فستبقى ثقافة نص وثقافة تأويل وثقافة إعادة إنتاج، وأنني لا أستطيع أن أنظر إلى العالم مباشرة دون أن أضع بيني وبين الواقع نصا. أريد للثقافة العربية أن تبدع نصوصا جديدة في الفكر والثقافة والأدب والعلوم وأن تنظر للواقع تنظيرا مباشرا، وأن تضيف إلى التراث العربي القديم مجموعة أخرى من النصوص، (الخطيب، 1999، ص214). هذه الثقافة المعرفية المترددة بين إعادة إنتاج التراث، وترجمة فكر الآخر، قد تزيد الشعور بالدونية واستصغار الذات في عالم لا يميل، (بن عيسى، 2016، ص21).

2. اللغة العربية في وسائل التلفزيون : إذا كانت اللغة تعني حسب تعريف ابن جني لها " : مجموعة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، فهل يكفي رجل الإعلام أن يظهر على الشاشة ويتحدث حتى يفهمه الجمهور ؟ ذلك أن كثيرا من وسائل الإعلام المرئية كانت تعتقد وأهمة أن الجمهور يفهم رسائلها، في حين أن العكس هو الصحيح. وعليه فمهما " اختلفت لغة وسائل الإعلام، فإنها تخضع لحقيقة بسيطة وهي : الوضوح، والدقة، والمباشرة، (لعياضي، 1991، ص159). ولاشك أن آليات الإعلام الحديثة، وفي مقدمتها الفضائيات التي ظهرت منذ وقت قريب، تستطيع أن تساعد على نشر اللغة العربية الفصحى وتقديم أصناف المعرفة بلسانها القويم، هي تملك من الإمكانيات التي تجعل هذه الآليات قادرة على أن تربط اللغة العربية بحركة الواقع بكل ما يضطرب

فضلاً في جنباته من تناقضات وصراع صاخب، عن الاعتماد على هذه الآليات كجهاز إعلامي بمعناه الدعائي عليه أن يتحمل مسؤولية المحافظة على الفصحى وحمايتها وتقديم الإرث الثقافي العربي المشترك الذي هو بلا أدنى مبالغة أعظم إرث ثقافي ورثه شعب على وجه الأرض، وما المانع من تحول هذه الوسائل إلى أداة تعليمية وتثقيفية في وطن ثلاثة أرباعه أميون يسكنون الأرياف وأطراف المدن ٥.

ويتجلى المشكل الإعلامي بوضوح في غياب أي نص صريح للوظيفة اللغوية التي ينبغي على وسائل الإعلام المختلفة أدائها بإتقان، ثم في عدم التوفيق في اختيار الكفاءات الإذاعية من العنصر الرجالي والنسائي. للعمل في هذه الوسائل وفي الفضائيات منها بخاصة، لاسيما بعد أن اتسعت هذه الأخيرة وأصبح لكل قطر عربي فضائية أو أكثر. ولا شك أن عدداً من هذه الفضائيات نجحت في استقطاب بعض الكفاءات وأصبحت تقدم خدمة هائلة للثقافة وللغة العربية إلا أن غالبية الفضائيات تعجز أو لا تريد أو لا تشعر بأهمية العناية باللغة العربية الفصحى ومن الصعب تتبع أشكال الإساءة إلى الفصحى في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بالتفصيل، فقد كيب لترا با لعبث صارت ميداناً فسيحاً لتشويه النطق والتجاوز عن القواعد النحوية والصرفية، فضلاً عن التوسع في استخدام اللهجات العامية من خلال الأعمال الدرامية وبعض البرامج الحوارية. وقد تنبه بعض المفكرين والقادة الإعلاميين إلى تلك المخاطر لتقليل منذ وقت مبكر، إلا أن جهودهم الهادفة إلى إزاحة تلك السلبيات ذهبت أدراج الرياح، نظراً لما سبقت الإشارة إليه من غياب التخطيط، والاكتفاء بما تؤديه هذه الوسائل من دور إعلامي. ويشير الكاتب فاروق خورشيد إلى ما يسميه خطورة التهاون في استخدام الأجهزة الإعلامية للهجات "وما يمكن أن يلعبه استعمال العاميات من هبوط في مستوى التلقي وفي مستوى الأجيال التي يفصلها استعمال الإذاعات للعاميات عن حسها القومي العربي الذي بدأت هذه الإذاعات من ضرورة قيامها ليس باعتبارها رجة لد وسيلة إعلامية فحسب، وإنما كأداة ثقافية في الأولى لا تقل خطورتها عن الكتاب والصحيفة، (عبد العزيز صالح، د.س.ن، ص 145).

ولم يقتصر استعمال العامية على مسلسلات إنما امتدت إلى الحوارات والدراما المؤلفة أو المدبلجة، واللقاءات الثقافية والبرامج الدينية، إذ تشير الإحصاءات إلى "وجود ما لا يقل عن ستين قناة تلفزيونية دينية تسبح في الفضاء العربي تقدم في أحيان كثيرة خطاباً دينياً واعظاً يعتمد العامية بحجة التبسيط والتسهيل والوصول إلى مختلف المستويات كما يزعم أصحابه، (أحمد السيد، 2011، ص88).

وعلى الرغم من أن العربية تعد اللغة الأولى في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، غير أن واقعها على مستوى الممارسة الفعلية (من خلال الحوار والإنتاج الفكري)، يتقهقر إلى آخر السلم لتأتي بعد اللغة اليونانية التي لا يتكلمها إلا حوالي 11 مليون! ومع تنامي وسائل الاتصال وسعة انتشارها، وكثرة الإقبال عليها، ولاسيما منها وسائل الإعلام المرئية، ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل - بما تملكه من نفوذ جماهيري- إلى معاول تنسف اللغة، وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى الحضيظ.

ومع تنامي النفوذ الجماهيري لهذه الوسائل أخذت بعض الدراسات الميدانية تقارن - مثلاً - ساعات وجود التلميذ في المدرسة على مدى عام كامل بساعات تعرضه للمؤثرات الإعلامية، ولاحظت أنها في بعض الدول تصل إلى ضعف ساعات التعليم النظامي، "فالتلاميذ يقبعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون فوق مقاعد الدراسة، فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلميذ قد قضوا 21111 ساعة مشاهدة في مقابل 15111 ساعة في المدرسة، (حجازي، 2011، ص15). ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية تقيم جسراً متيناً مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم معرفية عديدة، قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل مزاحمته. وفي حديثه عن وظيفة التلفزيون في المجتمع، يحذر الباحث 'رينيه شنكر Shankar' من مغبة انحراف التلفزيون عن دوره واسهامه في فساد الذوق اللغوي حيث يقول: على التلفزيون أن يأخذ بعين الاعتبار أنه وسيلة ترفيه، بالإضافة إلى غايات أخرى، أنه في هذا المجال وفي المجالات الأخرى يخترع لغة محادثة غير طبيعية، تؤثر حتماً في سلامة اللغة الكلاسيكية التي نتعلمها في المدارس.

ويصبح الخطر أكثر عندما نعلم أن مجتمعاتنا تكثر فيها نسبة الأمية وتقل فيها نسبة المقرئية، وفي غياب فضاءات التثقيف والترفيه في الغالب يظل التلفزيون القبلة شبه الوحيدة التي تمتص وقت فراغ المشاهد فاللغة في التلفزيون تتعرض يوميا لموجات من التشويه والتحريف، "والواقع أن لغة التلفزيون في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه، (جبران، 1988، ص 59). وان ما يجري في الإعلام اللبناني المرئي والمسموع، يشكل انكسارا للقواعد لفصح الأساسية للغاية في نوع من مواكبة تيار الحياة العادي الجارف. على حد تعبير سالم المعوش أستاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة اللبنانية. حيث تسجل الدراسات "شيوع الأخطاء اللغوية وتكررها وتفشي اللهجات العامية في واقع الممارسة الإعلامية للكثير من الفضائيات العربية، مما يُعد أحد أشكال الإساءة إلى الذوق اللغوي العربي، حيث تغيب جدية الأداء وسلامة اللغة، (بلغيث، 2012، ص 246). وثمة ظاهرة انتشرت بين الشباب العربي وهي استخدام الحروف اللاتينية على أنها بديل للحروف العربية في كتابة رسائل الهاتف المحمول، "وتسهم القنوات الفضائية العربية أيضا ولاسيما الغنائية منها في نشر هذه الظاهرة فهي تعمل على إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة العربية، ويظهر ذلك في الرسائل التي يبعث بها المشاهدون الشباب بعضهم إلى بعضهم الآخر عبر شريط الرسائل التابع للقناة، (السيد، 2011، ص 23). ففي إحصائية ترصد واقع اللغة العربية والصياغات الإعلامية في وسائل الإعلام العربية، "شملت 141 محطة عربية جاء فيها: أن 63%، 38 من القنوات العربية استعملت الصياغات الفصيحة التي تراعي قواعد اللغة العربية المقبولة في وسائل الإعلام المرئية المسموعة، مشيرة إلى أن أغلب هذه الصياغات الفصيحة كانت في البرامج الإخبارية والوثائقية، وأغلبها كانت من خلال محطات إخبارية متخصصة، أو وسائل إعلام رسمية، تنتمي لحكومات تتبنى الفكر القومي العربي. فيما توضح الإحصائية أن ما نسبته 25%، 33 اعتمد النمطين في الصياغات، أي العربية الفصيحة واللهجات واللكنات المحلية، مفيدة أن أغلب هذه القنوات كانت ترفيهية. وتوصلت الإحصائية

أخيراً إلى أن 11%، 36 من وسائل الإعلام العربية تبنت لكنات محلية أو ثانوية بالنسبة للغة الرسمية لهذه البلدان. ورغم الوعي بالحاجة إلى أهمية تجديد الصيغ الإعلامية وجعلها متناسبة مع التطور التقني المهول لوسائل الاتصال وتنوعها، فإن الوعي باللغة لا يختلف عن الوعي بالحرية، أو الوعي بالأخر، (ميهوبي، 2012، ص36).

وما يمكن استنتاجه من فحوى هذه الدراسة أن أغلب القنوات الترفيهية والتجارية تستعمل لكنات عامية ولهجات محلية في برامجها، لاسيما الترفيهية منها ولم تسلم حتى بعض البرامج الإخبارية من طغيان اللهجات العامية، لاسيما في قنوات لبنان ومصر.

ورغم أن هناك مشكلات جديدة في الاستخدام اللغوي في الإعلانات وفي بعض المسلسلات وهي مشكلات جديدة بالبحث اللغوي والاجتماعي ووضع الحلول المناسبة لها، هذه القنوات تمثل واقعاً جديداً، وتعد أدوات مهمة عند حسن الإفادة منها - "لترسيخ النمط المنشود للعربية الفصحى المعاصرة المعبرة بدقة عن حضارة العصر ومشكلاته... والى إدماج المناطق ذات الأوضاع اللغوية الخاصة في نسق لعربية اللغة والثقافة العربية، وإلى النهوض بتعليم الأبناء اللغات الأخرى، وكلها مهام لغوية لوسائل الإعلام العربية، وكل هذه القضايا تتطلب رؤية واضحة لدور وسائل الإعلام في المجال اللغوي متكاملة وتخطيطاً هادفاً وتنفيذاً جاداً وهذا جانب مهم على المستوى العربي من التنمية اللغوية، (العريس، 2008). والحقيقة أنه لا يُب من رجل الإعلام أن يتحدث إلى الجمهور بلغة سيبويه، احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، مما يضيف على أسلوبه مسحة من الأناقة والجمالية، وينأى به عن الإسفاف والرداءة والقصور، وعليه حسن يجدر بمن يتصدى لمهنة الإعلام أن يُن التقدير في إبلاغ رسالته إلى الجمهور بحيث يوصل محتواها إلى المتلقي دون التجني على اللغة تطرفاً أو قصوراً. غير أن هذا لا يعني أن في إمكان محبي اللغة العربية، وهم أكثر كما نعتقد في طول تلك عن ثمة العالم العربي وعرضه، السكوت المجزرة اليومية التي تتحرر اللغة العربية في كل ساعة ودقيقة على الشاشات الصغيرة، في معظمها، إن لم يكن في مجملها، أو عن تلك المجزرة الأخرى التي تطال أبسط

المعلومات، في برامج عدة. يتحدث فيها مقدموها، أو المشاركون في تمثيل حلقاتها بلغة ذات أداء سيئ أو منحرف، كما في كلام مقدمة أحد برامج الأطفال على شاشة المؤسسة اللبنانية للإرسال الذي يصطبغ بلهجة مطاطة ومتعثرة تعبت بلفظ بين الحروف وتركيب الكلمات، وتُخلط دون مبرر، العربية والفرنسية والإنجليزية.

ويقينا أن هذه العجالة "لا يمكنها أن تحصى أخطاء تعد بالمئات في كل يوم، من نصب الفاعل، إلى جر المفعول به، إلى اعتبار كل كلمة حالاً ليه وتُمي أ ز، إلى رفع المضاف والمضاف ناهيك بالكوارث التي تحل بالمبتدأ والخبر وما إلى ذلك ويجدر بنا في هذا المقام الإشارة بمرارة إلى دور الكثير من الفضائيات المحسوبة على العربية التي لا زالت تحاول جاهدة أن تكتم ما تبقى من أنفاسها لتي لتُريدها ذبيحة على سطورها المشبوهة باتت لا تمت إليها بصلة، وحينما تموت لغتنا لن يصلي أحد عليها الجنازة إذ الصلاة لا تجوز إلا باللغة العربية!

ومن ثمة نستشف حجم التحدي المفروض على اللغة العربية، هدفه المعلن عوالة الثقافة، ومرماه المبطن نسف الهوية، ومطيته تقويض اللغة، "وبما أن الثقافة العربية الإسلامية تقع ضمن دائرة الاستهداف العولمي، فإن اللغة العربية الفصحى هي رجعة الرأس الذي يراد اجتثاثه بشكل قاطع لا فيه، (القليني، عزة، 2012، ص111). وفي الواقع أن هذه الممارسات التي كانت متسترة بالأمس القريب، أضحت اليوم مكشوفة لدى عامة الناس، لأن الآخربات يجاهر بأفضليته الثقافية، ودونية سائر الثقافات الإنسانية.

وفي دراسة أجريت على عينة من الشباب الجامعي حول دور الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية، "ذكر نسبة 45% من الباحثين أن القنوات الفضائية العربية أدت إلى تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة، ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج، إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها.

لقد أدى التقليد العشوائي لوسائل التعبير المرئي، إلى أن تفقد الكثير من المحطات العربية خصوصيتها، وتنتكر إلى لغتها، ويبعثها،

وثقافتها، "إذ لم يقتصر ذلك على اقتباس وسائل الإنتاج المتقدمة والجذابة- وهذا أمر محمود- وإنما المستكر هو قيام بعض المحطات العربية بتسمية نفسها بأسماء أجنبية، والرمز لذاتها بحروف غير عربية، ووضع عناوين البرامج وأسماء المشتركين بالأجنبي- مثلاً في فيديو كليب الأغاني العربية- واقتباس أفكار وأشكال ومضامين برامج أجنبية تبدو ناشرة في مجتمعاتنا العربية، (سلمان، 2015، ص6)

وفي ذلك بيان كاف على أن وضع اللغة العربية على شاشات الفضائيات العربية غير مريح ولا يبعث على الأمل إلا ما ندر حيث نجد بين الحين والآخر محاولات تتلج الصدور لكنها تتسم بالظرفية وتفتقد عامل الاستمرار ومن أمثلة البرامج التي ساهمت في التعريف بالكثير من قضايا اللغة والأدب العربيين، (علي ليلة، 2013، ص54). نذكر برنامج أفتح يا سمس، مدينة القواعد، لغتنا الجميلة، كلمات ودلالات، فرسان الشعر... الخ من البرامج التي صالت بالمشاهد وجالت في بحر اللغة العربية وشواطئها الجميلة، ولعل هذه المبادرات الخلاقة تستدعي الإشادة والتنويه وتستنهض هممنا للمطالبة بمزيد من المشاريع الإنتاجية بغرض سد الثغرات وتجاوز النقائص وهو أمر يتطلب تضافر الجهود الغيورة على اللغة العربية رسمية كانت أو شعبية إضافة إلى التنسيق المحكم بين الفضائيات العربية وتوحيد جهودها الإعلامية خدمة للهدف المشترك، وهو النهوض بالثقافة العربية وجعلها مواكبة للتحويلات ومواجهة للتحديات التي يفرضها عصر العولمة.

3. اللغة العربية بين تحدي العولمة واستجابة الفضائيات.

الإعلام سلاح ذو حدين، فإذا أكان بالمستوى المطلوب لغة وأداء، أصبح مدرسة لتعليم اللغة، وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تربية الملكات اللغوية ورعايتها وتنميتها، مما ينعكس إيجاباً على الإعلام نفسه، أما إذا تردى الإعلام إلى مستوى من الإسفاف، فإن ذلك نذير شؤم على تحوله إلى مستنقع آسن، يوشك أن يطال المجتمع بأسره ولا تسلم اللغة من عواقبه المؤذية.

ومن الطبيعي أن يؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه قتل الفكر جريمة أشد من قتل الجسد، إنه يرد الإنسان مجرد كائن حيواني دون هوية، إن الشعوب تتهار إن لم تكن محصنة من داخلها لا من حولها.

وفي هذا المجال لم تهدأ جهود العولمة من أجل تعزيز استعمال العامية واللهجات المحلية ولاسيما إذا انتبها إلى طغيان العاميات العربية على أجهزة الإعلام المرئي والمسموع، "فنصيب العربية الفصحى ما انكف يتقلص، ونزعة الاستسهال بحكم قانون المجهود الأدنى ما فتئت تزرع الوهم بأن العربية لا تتلاءم مع برامج الحياة اليومي، فإذا الكثرة الكاثرة من البرامج والمسلسلات المؤلفة والمد بلجة والمنوعات تبث بالعامية، وهذه البرامج تتخر في الجسد العربي وتفصل بين أعضائه بتعزيزها تلك اللهجات المحلية المفرقة في عاميتها.

ولم يقتصر استعمال العامية على مسلسلات الدراما المؤلفة أو المد بلجة، نما امتد إلى الحوارات واللقاءات الثقافية والبرامج الدينية، "إذ تشير الإحصاءات إلى وجود ما لا يقل عن ستين قناة تلفزيونية دينية تسبح في الفضاء العربي تقدم في أحيان كثيرة خطابا دينيا واعظا يعتمد العامية بحجة التبسيط والتسهيل والوصول إلى مختلف المستويات كما يزعم أصحابه، (أحمد السيد، 2011، ص88). وتأتي ظاهرة الإعلانات في الفضائيات العربية كي تشكل انحرافا آخر يضاف إلى سلسلة المآخذ الموجهة لبرامج الفضائيات، فكلما وجهت بصرك صوب قناة عربية تقابلك إعلانات مصوغة بالعامية أو بالعربية المحشوة بالأخطاء أو بالكلمات الأجنبية، وهذا كله يسهم في تشويه اللغة العربية، ويعد عاملا سلبيا في اكتساب المهارات اللغوية لدى أبنائنا، إذ إنها تهدم ما تبنيه المدارس إذا افترضنا أن هذه المدارس تدرس فيها اللغة السليمة تدريسا وافيا.

ولمواجهة عصر الكوكبية والتفجر المعرفي المتنامي لثورة الاتصالات والمواصلات، والسماة المفتوحة، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصهار العربي والوجداني والفكري لأمة عربية واحدة. "اللغة العربية هي التي تصنع وحدة الفكر والعقل"، (عبد إبراهيم، 2012، ص6).

واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلباً عسير المنال، "فلاغة الإعلام هي الفصحى السهلة المبسطة في مستواها العملي... والمرونة والعمق، وهي الخصائص التي تجعلها تنبض بالحياة والترجمة الآمنة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة، التي يحكم بصلاحياتها الاستعمال والذوق والشيوع، (شرف، 1989، ص118). وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة على استيعاب مختلف التطورات، وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات، فإن دعاة وأحبار العولمة ما فتئوا يروجون لاغتيال اللغات القومية، مشككين في جدوى قدرتها على الحياة في عصر الكوكبة، ولاشك أن هذه النظرة على ما يطبعها من تحيز تقوم على "عنصرية واضحة تنهم فيها اللغات العريقة بالمحدودية والفقر... وترتكز هذه اللغة النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة العربية مثلاً، وضعف قابليتها للتكنولوجيا اللغوية والأدبية والثقافية... وعندما ننظر في بعض المسائل الدالة ندرك تهم هذه الفرضية مثل علاقة اللغة بالفكر، "فاللغة العربية لغة الوحي والتقليد الثقافي العربي برمته، على أن عناصر الثبات فيها ليست الذي نخدم فيه لغتنا، فإنها قابلة لخدمة تطور المعرفة وتكنولوجيا الأدب والمعلومات، (أبو هيف، 2012، ص418). وفي غمرة هذا الوضع اللغوي المتسم بالتشتت والتباين لابد من القيام بخطوات عملية باتجاه إعادة الوحدة والانسجام إلى نسيجنا اللغوي في كامل الوطن العربي، ولن يتأتى ذلك إلا بوضع "سياسة لغوية عربية موحدة تأخذ بعين الاعتبار مقومات الانتماء للثقافة العربية الإسلامية وخصائص المجتمع العربي، وتساعد في تحقيق التقارب بين مستويات التعبير اللغوي الثلاثة، المستوى التذوقي الفني والجمالي المستخدم في الأدب والفن، والمستوى العلمي النظري التجريبي المستخدم في العلوم، أو المستوى العلمي الاجتماعي المستخدم في الصحافة وأجهزة الإعلام والاتصال بوجه عام، (عمار، 2011، ص311).

ومن جهة أخرى، فإن رصد واقع لغة الضاد على شبكة «الانترنت» يقدم مجموعة دلالات هامة تستحق النقاش والتأمل. وتظهر إحصائيات حديثة تدني محتوى الانترنت من الصفحات باللغة العربية التي لا تتجاوز

نسبتها الواحد في ألف من تعداد الصفحات الإجمالي على الشبكة العنكبوتية. وللمفارقة أنه بين اللغات العشر ذات المحتوى العالي على الإنترنت، لا وجود للغة العربية، علماً أنها تحتل المرتبة السادسة عالمياً من حيث عدد متكلميها، ويمثل العرب 5% من سكان العالم، بينما لا تتجاوز نسبة مستخدمي الإنترنت منهم 13% من الاستخدام العالمي، (لغريبي، د. س. ن، ص 43). وفي سياق متصل بينت دراسة عن الشباب الإماراتي والإنترنت أن " اللغة العربية الفصيحة قليلة الاستخدام وسط الشباب الذي يستخدم شبكة الإنترنت للتسامر عن بعد ، chat إذ لم يزد عدد مستخدميها عن 73% من مجمل الشباب الذي يقوم بالردشة، (نصر الدين، 2016، ص 12). ولعل ذلك يؤشر على أن هناك تحديات كبيرة تعيق توظيف التقنية الرقمية في التعامل مع اللغة العربية مثل التلكؤ في اعتماد رموز موحدة للحروف العربية والالتزام الدقيق بحركاتها إذ لم يتسن للدول العربية منذ ستينيات القرن الماضي تبني رموز موحدة لحروف العربية وحركاتها تمهد لتعامل تقنية المعلومات مع اللغة العربية ونصوصها بصورة مجدية. كما لا يوجد نظام للإعراب الآلي والنظم المستخدمة حالياً تعتمد على تخزين أنماط الخطأ النحوي على صورة سلاسل من الكلمات المتعاقبة. أما على صعيد محركات البحث مثل «غوغل» فهو لا يراعي الخصائص البنيوية للكلمة العربية. كما لا تخلو برامج الترجمة صعوبات، الأمر كله يكشف في ظل هذا الواقع حاجة عربية ملحة لدعم جهود تطوير استخدام اللغة العربية على شبكة " الإنترنت، (شحاتة، 2018، ص 5). وبالتالي فالعولة بقدر ما تتجلي للمتأمل كمصدر ضغط ومضايقة تفرض على اللغة العربية أقصى درجات المرونة وسرعة الاستجابة للمتغيرات العالمية؛ فإنها إلى جانب ذلك مصدر ثراء وفرصة تطوير وتجدد وانفتاح مدروس لتلبية حاجات المجتمع العربي الطامح لفهم الآخر بلغته، وتكيف مع مستجدات العصر، لا بل الإسهام في صنعها، وبالتالي تكون جسراً فعالاً للتواصل مع الحضارات الأخرى وتمكين الثقافة العربية الإسلامية من الإسهام المثمر في تشييد معالم القرية الكونية.

بأحرف اللغة رُسمت معالم الحضارات وخلدت صفحاتها المشرقة في التاريخ، وبفضلها انتقلت إلينا كنوز الأقدمين ومآثرهم النفيسة، واللغة ليست كيانا مجردا عن كيان أصحابها، بل أنها مرآة صادقة تعبر عن واقعهم، يعترئها ما يعترئهم من قوة وضعف، ورغم ما يصل إليه أهلها من وهن تظل اللغة أحد أهم القلاع الحصينة المتأبية على الاستسلام، تستنفر همم أهلها للنهوض والتقدم.

1. إبراهيم العريس، الإعلام حين يذبح اللغة. متوفر على الرابط : <http://www.islamweb.net/ver2/archive/readArt.php?lang=A&id=97255>. 2008. 12h20
2. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ، 1969.
3. جان جبران كرم، التلفزيون والأطفال، دار الجيل، بيروت، 1988
4. حسام الخطيب : أي أفق للثقافة العربية وأدبها في عصر الاتصال والعولمة، عالم الفكر، مجلد، 28 عدد ، 2 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.
5. حسن حامد عمار، الانتماء ووسائل الاتصال، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد الرابع، ع، 18 جامعة عدن، اليمن، يوليو- ديسمبر، 2111.
6. حموتو آزاد، النهوض باللغة العربية أم بمتكلمها ؟، مجلة العربي، ع ، 536 وزارة الثقافة، الكويت، مايو ، 2014.
7. زكي الجابر، اللغة العربية والإعلام، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، 1983.
8. سلطان بلغيث، دور القنوات الفضائية العربية في نشر الثقافة العربية الإسلامية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ، 2012.
9. سوزان القليني وعزة عبد العظيم، الأنماط الثقافية والتربوية والسلوكية(البرامج التنشيطية والدرامية مثالا)، الإذاعات العربية، ع، 11، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2012.
10. شحاتة حسن، رؤى تربوية وتعليمية متجددة بين العولمة والعوربة، دار العالم العربي، القاهرة، ، 2118.
11. عبد الباسط سلمان، عولمة القنوات الفضائية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ، 2015.
12. عبد الحليم بن عيسى، اللغة العربية الواقع والتحديات، مجلة حوليات التراث، عدد، 5 جامعة مستغانم، الجزائر، 2016.
13. عبد السلام المسدي، اللغة العربية والتحديات الجديدة، مجلة ثقافات، عدد ، 13 جامعة البحرين، البحرين، 2012.

14. عبد العزيز شرف، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء، القاهرة، ، 1998ص. 117-118
15. عبدالله أبو هيف، اللغة العربية وتحديات العولمة، المجلة العربية للثقافة، ع ، 43س ، 21المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ديسمبر ، 2112.
16. عز الدين ميهوبي، القاموس الإعلامي : صحافتنا وتعويم اللغة، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 15يوليو ، 2012.
17. علي ليلة، الثقافة العربية والشباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ، 2013.
18. محمد إبراهيم عيد، الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، ، 2012.
19. محمد فريد عبد الله، أثر السياحة في اللغة العربية، مجلة العربي، ع ، 562وزارة الإعلام، دولة الكويت، سبتمبر ، 2015.
20. محمود أحمد السيد، أثر اللغة في المكون العربي، من بحوث مؤتمر العروبة والمستقبل، دمشق : 15-19أيار 2011.
21. محمود أحمد السيد، أثر اللغة في المكون العربي، مؤتمر العروبة والمستقبل، دمشق، 11-19ماي ، 2011.
22. محمود السيد، العربية والعولمة اللغوية، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثمانون، دمشق، أكتوبر، 2011.
23. محمود فهمي حجازي، دور وسائل الإعلام في التنمية اللغوية، المؤتمر السنوي السادس والستين لمجمع اللغة العربية بالقاهر، 08-04-2011.
24. المقال عبد العزيز صالح، وسائل الإعلام والفصحى المعاصرة، مجلة مجمع اللغة العربية، ع ، 49مجمع اللغة العربية، القاهرة، .
25. نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، عدد. 3
26. نصر الدين ليعاضي، الشباب الإماراتي والانترنت، ندوة علمية ثقافة الانترنت وأثرها على الشباب، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، 2016.
27. نصر الدين ليعاضي، مساءلة الإعلام، : المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1991.
28. نور الدين حاطوم، تاريخ القوميات في أوروبا، الجزء ، 3دار الفكر، دمشق، ، 1979.